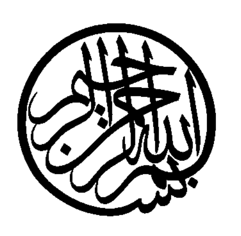
المؤلف
محمد عبد الملك الزغبي

النســـاء

أكثر أهل النار

مكتبة فياض
المنصورة ـ عزبة عقل
☎ ٣٦٧٣٩٨



رقم الإيداع : ٩٧/٩٥٩٢

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوز بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴿٧٠﴾ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾

مكتبة فياض للنشر والتوزيع

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير هدى هدى محمد ﷺ وآله وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة وكل *ضلالة فى النار ... وبعد :*

بحمد الله وتوفيقه تقوم الدار بنشر وتحقيق تراث سلف هذه الامة من العلماء والآئمة العاملين .

ومن هذه النفائس ـ على صغر حجمها ـ رسالة النساء أكثر أهل النار فإنها قد إشتملت على فوائد ونصائح غالية مدعومة بالأدلة القوية على صغر حجمها.

ولقد قام المؤلف ومن بعده قسم التحقيق بالدار ببذل جهد مشكور فى هذه الرسالة حيث قامو ا بتخريج أحاديثها وبين صحيحها من سقيمها مريدين بذالك النصح لنساء المسلمين فجزاه وجازهم الله خيراً .

سائلين المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل المتواضع فى ميزان حسنات القائمين به .

واسأل الله أن ينفع به

الناشر

تشبه النساء بالرجال
وتشبه الرجال بالنساء *

جاء في الصحيح [(١)] أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء » وفي رواية قال : [(٢)] « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » يعني اللاتي يشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه [(٣)] قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة » .

فإن لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهتهم في لبسهم فتلحقها لعنه الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أي رضي به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية ؛ لقول الله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** ﴾ أي أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم [(٤)]

* الكبائر : للإمام الذهبي .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

(٢) عزاه في الترغيب والترهيب للبخاري .

(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم .

(٤) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر .

ولقول النبى ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الرجل راع فى أهله ومسؤول عنهم يوم القيامة.» وجاء [١] عن النبى ﷺ أنه قال : « ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء » .

وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى فى النار ، وقال ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » أخرجه مسلم . قوله : كاسيات أى من نعم الله عاريات من شكرها ، وقيل هو أن تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها ، ومعنى مائلات قيل : عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، مميلات أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل : مائلات متبخترات مميلات لأكتافهن ، وقيل مائلات يمشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا ، ومميلات غيرهن تلك المشطة .

رؤوسهن كأسنمة البخت أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما وعن نافع قال : كان ابن عمرو بن عبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً ، فقال عبد الله بن عمرو : أرجل أنت ام امرأة ؟ فقالت : امرأة . فالتفت إلى ابن عمرو فقال : إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ، ومن

(١) اخرجه مسلم .

الأفعال التى تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب ، وتصبيها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ، ولبسها الصباغات والأرز والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعه . . الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت ، وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة ، وهذه الأفعال التى غلبت على أكثر النساء ، قال عنهن النبى ﷺ : « اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء » ، وقال ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء » .

نشوز المرأة على زوجها *

قال الله تعالى : ﴿ **واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا * إن الله كان عليا كبيرا** ﴾ .

قال الواحدى رحمه الله تعالى : النشوذ ههنا معصية الزوج وهو التزمع عليه بالخلاف ، وقال عطاء : هو أن تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله فى الطواعية ﴿ **فعظوهن** ﴾ بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به ، ﴿ **واهجروهن فى المضاجع** ﴾ ، قال ابن عباس : هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها ، وقال الشعبى ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها ، ﴿ **واضربوهن** ﴾ ضربا غير مبرح ، وقال ابن عباس : أدبا مثل اللكزة ،

* الكبائر للإمام الذهبى .

وللزوج أن يتلافى نشوز امـرأته بما أذن الله له مما ذكره الله فى هذه الآية ﴿ فإن أطعنكـم فلا تبـغوا عليـهن ﴾ . قال ابن عـباس : فـلا تتجنوا عليهن العلل، وفى الصحيحين [١] : أن رسول الله ﷺ قـال : «إذا دعا الرجل امرأته إلى فـراشه فلم تأت لعنتـها الملائكة حتى تـصبـح » وفى لفظ الصحيـحـين أيضاً [٢] : « إذا باتت المرأة هاجـرة فراش زوجـها ، فتـأبى عليه إلا كـان الذى فى السمـاء ساخطاً علـيها حـتى ترضى عن زوجها » وعن جابر [٣] رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صـلاة ، ولا ترفع لهم إلى السمـاء حسنة: العـبد الآبق حـتى يرجع إلى مواليه فـيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليهـا زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو » .

وعن الحسن قال حدثنى من سمع النبى ﷺ يقول : « أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وبعلها » ، وفى الحديث [٤] أن رسول الله ﷺ قـال : « ولا يحل لأمرأة تؤمن بالله وباليـوم الآخر أن تـصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيتـه إلا بإذنه » أخرجه البخارى . ومعنى شاهد أى حاضر غيـر غائب وذلك فى صوم التطوع فلا تصوم ، وعن نافع لأمـرت الزوجـة أن تسـجد لزوجـهـا » رواه التـرمـذى [٥]. وقالـت عمة حصـين بـن محصـن وذكـرت زوجهـا النبـى ﷺ فقـال : « انظرى من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك » أخرجـه النسائى وعن عبد الله بن عـمرو [٦] رضى الله عنهما قـال : قال رسول الله ﷺ : « لا

(١) رواه أبو داود والنسائى .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٤) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما .
(٥) رواه الترمذى وقال له شاهد عند ابن ماجه ، وعند أبى داود وابن حبان .
(٦) رواه النسائى بإسناد صحيح .

ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه » .

وقال [١] رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرادها لقول النبى ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كان على التنور » .

قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس ، ولا معها ماء حتى تغتسل ، لقول الله تعالى : ﴿ **فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن** ﴾ أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن ، قال ابن قتيبة : يطهرن أى ينقطع عنهن الدم ، فإذا تطهرن أى اغتسلن بالماء والله أعلم . ولما تقدم من قول النبى ﷺ : « من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد » .

وفى حديث آخر : « ملعون من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها » . والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين ، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إن أراد إتيانها وينبغى للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف فى نفسها ولا فى حاله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها ، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ، ولا تفتخر عليه بجمالها ، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه .

قال الأصمعى [٢] : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه .

(٢) رواه الترمذى وحسنه ، والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

فقلت لهـا : كيف ترضين لنفسك أن تكونى تحت مثل هـذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا ، لعله أحسن فـيما بينه وبين الله خالقه فـيجعلنى ثوابه ، ولعلى أسأت فجعله عقوبتى ، وقالت عائشة رضى الله عنها : يا معشر النســاء ، لو تعلمــن بحق أزواجكن عليكن لجـعلت المـرأة منكن تمسح الغبـار عن قدمى زوجـها بخد وجـهها ، ويجب عـلى المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجـها ، وغض طرفها قدامـه ، والطاعة لأمره ، والسكوت عند كلامـه، والقيام عند قـدومه ، والابتعـاد عن جميع مـا يسخطه ، والقيام عند خروجـه ، وعرض نفسها عليه عند نومـه ، وترك الخيانة له فى غيبـته فى فراشه ومـاله وبيته ، وطيب الرائحة وتعهـد الفم بالسواك والمسك والطيب، ودوام الزينة بحضـرته ، وتركها الغيـبة ، وإكرام أهله وأقاربه .

وترى القليل منه كثيراً . فى فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ينبـغى للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتـهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضـاه جهدها ، فهو جنتـها ونارها لقول النبى ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » ، وروى عنه ﷺ أنه قال : « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء والحيتان فى المـاء والملائكة فى السماء ، والشمس والقمر ما دامت فى رضا زوجها ، وأيما امرأة عـصت زوجها فعلـيها لعنة الله والملائكة والناس أجـمعين ، وأيما امـرأة كلحت فى وجه زوجـهـا فهى فى سـخط الله إلى أن تضـاحكه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » فى إسناده كلام ، وجـاء عن رسول الله ﷺ أيضا قـال : « أربع من النساء فى الجنة ، وأربع فى النار فأما الأربع اللواتى فى الجنة

فامرأة طائعة لله ولزوجها ، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ، ذات حياء إن غاب عنها حفظت نفسها وماله ، وإن حضر أمسكت لسانها عنه والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا . وأما الأربع اللواتى فى النار من النساء : فامرأة بذيئة اللسان أى طويلة اللسان على زوجها أى طويلة اللسان فاحشة الكلام . إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانها . والثانية : امرأة تكلف زوجها مالا يطيق ، والثالثة : امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة ، والرابعة : امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة فى الصلاة ولا فى طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها ، فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله ، وقال النبى ﷺ (١) : « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » ، وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله ولأزواجهن . وكثرة تبرجهن ، والتبرج : إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت هى بنفسها لم يسلم الناس منها لهذا قال النبى ﷺ : « المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان » وأعظم ما تكون المرأة من الله ما كان فى بيتها فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدين ؟ قالت : أعود مريضاً ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن

(١) متفق عليه .

تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها . وقال على رضى الله عنه لزوجته فاطمة رضى الله عنها : يا فاطمة ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها . وكان رضى الله عنه يقول : ألا تستحون ، فلا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال وتنظر إليهم وينظرون إليها . لذلك فإن الصواب هو قرار المرأة فى بيتها .

نساء كاسيات عاريات

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » أخرجه مسلم . كاسيات : أى بنعم الله ، عاريات أى من شكره سبحانه ، وقيل : يسترن أجسامهن ويكشفن بعضها ، وقيل : يلبسن ثياباً رقيقة تصف ما تحتها ، فهن كاسيات وفى ظاهر الأمر عاريات فى الحقيقة ، ومائلات أى زائغات عن طاعة الله تعالى ، وما يلزمهن من حفظ الفروج . ومميلات : أى : يعلمن غيرهن ذلك ، وقيل : مائلات للشر ، مميلات للرجال إلى الفتنة ، وقيل : غير ذلك . قوله : رؤوسهن كأسنمة البخت : أى يكبرنها من المقانع والخمر والعمائم ، أو بما تصير كأسنمة البخت .

ترهيب النساء من النياحة على الميت

عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أخته تبكى عليه وتقول : واجبلاه ، واكذا واكذا ، تعدد عليه فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لى : أنت كذلك [١] ؟ وعن أبى موسى : أن رسول الله ﷺ قال : « وما من ميت يموت فيقوم باكيهم ، فيقول : واجبلاه ، واسيداه ، أو نحو ذلك ، إلا وكل به ملكان يلمزانه [٢] أهكذا أنت ؟ » [٣] وفى الباب أحاديث ليس فيها ذكر النساء ، ولكنها تشملهن ، لأن النياحة على الميت على الوجه المكروه إنما تصدر عنهن غالباً . وعن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تصلى الملائكة على نائحة ولا مرنة » [٤] وعن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب » [٥] رواه مسلم وابن ماجه ، ولفظه : « النياحة من أمر الجاهلية ، وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثياباً من قطران ، ودرعاً من لهب النار » . القطران ، بفتح القاف وكسر الطاء ، قال ابن عباس : هو النحاس

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه . (٢) يلمزانه : اللمز : هو الدفع باليد فى الصدر .

(٣) رواه ابن ماجه فى سننه ، والترمذى فى جامعه واللفظ له وقال : حديث حسن صحيح .

(٤) المرنة : أى التى تبكى بصوت وعويل ــ والحديث رواه أحمد فى مسنده .

(٥) رواه مسلم فى صحيحه .

المذاب ، وقال الحسن : هو قطران الإبل ، وقيل : غير ذلك ، وعن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذه النوائح يجعلن صفين يوم القيامة فى جهنم : صف عن اليمين وصف عن اليسار ، فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب » رواه الطبرانى فى الأوسط ، وعن أبى سعيد الخدرى ، قال : « لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة » [١] وعن أم سلمة قالت : « لما مات أبو سلمة ، قلت : غريب ، وفى أرض غربة ، لأبكينه بكاء يتحدث عنه ، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه ، إذ أقبلت امرأة تريد أن تساعدنى ، فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال : أتريدين أن تدخلى الشيطان بيتاً أخرجه الله منه ؟ فكففت عن البكاء فلم أبك » [٢] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما جاء رسول الله ﷺ نعى زيد ابن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ــ رضى الله عنهم ــ جلس يعرف فيه الحزن ، وأتاه رجل فقال : إن نساء جعفر ، وذكر بكاءهن ، فأمر أن ينهاهن ، فذهب ، ثم الثانية فذكر أنهن لم يطعنه ، فقال : انههن ، فذهب ثم أتى الثالثة فقال : والله لقد غلبتنا يا رسول الله ، . . .

* * * *

(١) رواه أبو داود فى سننه .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه .

التبـــرج

وكانت عـائشة [١] وحفصة رضى الله عنهـما يوماً عند النبى ﷺ جالستين ، فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبى ﷺ : « احتجبا منه » فقالتا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : « أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه » .

فكما أنه ينبـغى للرجل أن يغض بصره عن النســاء ، فكذلك ينبغى للمرأة أن تغض طرفـها عن الرجال ، كـما تقدم من قول فـاطمة رضى الله عنهـا : أن خيـر ما للمـرأة ، أن لا ترى الرجال ولا يروها ، فـإن اضطرت للخروج لزيارة والديهـا وأقاربها ولأجل حمـام ونحوه مما لابد لها منه ، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة فى ملتحفة وسنحة فى ثياب بيتـها ، وتغض طـرفها فى مـشيـتهـا ، وتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالاً، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية .

وقد حكى إن امرأة كانت من المتبـرجات فى الدنيا ، وكانت تخرج من بيتهـا متبرجة فـماتت فرآها بعض أهلها فى المنـام وقد عرضت على الله عـز وجل فى ثياب رقـاق ، فهـبت ريح فكشفـتهـا فأعـرض الله عنها،وقال : خذوا بها ذات الشمال إلى الـنار فإنها كانت من المتبرجات

---

(١) رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح .

فى الدنيا ، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه (١) : دخلت على النبى ﷺ أنا وفاطمة رضى الله عنها ووجدناه يبكى بكاء شديداً ، فقلت له : فداك أبى وأمى يا رسول الله ، ما الذى أبكاك : « يا على ، ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت نساء أمتى يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت معلقة بشعرها يغلى دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب فى حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثديها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار » .

فقامت فاطمة رضى الله عنها وقالت : حبيبى وقرة عينى ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال ﷺ : « يا بنيه ، أما المعلقة بشعرها فأنها كانت لا تغطى شعرها من الرجال ، وأما التى كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذى زوجها ، وأما المعلقة بثديها فإنها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التى تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة ، وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة ، وأما التى على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت نمامة حسادة » .

(١) الحديث رواه الذهبى فى الكبائر ، إلا أنه ليس حديثاً صحيحاً وقد كتبته نقلاً عنه من باب الترهيب .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه (١) قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تؤذى المرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ، ويا بنية الويل لامرأة تعصى زوجها » وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه ، فالزوج أيضا مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره ، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة ؛ لقول الله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ ولقول النبى ﷺ (٢) : « استوصوا بالنساء ، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقاً ، فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن كسوتهن وطعامهن . وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون » وقوله ﷺ : « عوان » أى أسيرات جمع عانية وهى الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة فى دخولها تحت حكم ، وقال ﷺ (٣) : « خيركم خيركم لأهله » وفى رواية : « خيركم ألطفكم بأهله » وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء ، وقال ﷺ : « أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وقد روى أن رجلاً جاء إلى عمر رضى الله عنه يشكو خلق زوجته ، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه .

تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته ـ وهو أمير المؤمنين ـ فكيف حالى ؟ فخرج عمر فرآه مولياً على بابه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ، فقال عمر : يا أخى ، إنى احتملتها لحقوق لها على : إنها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى . . . وليس ذلك كله بواجب عليها ، ويسكن قلبى بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتى ، قال عمر : فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة .

فقال : « احث فى أفواههن التراب » أخرجه الخمسة إلا الترمذى [١] وعن أنس بن مالك : أن عمر لما طعن عولت عليه حفصة ، فقال لها عمر : يا حفصة ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن المعول عليه يعذب » ؟ قالت : بلى [٢] ، وعن أبى بريدة قال : وجع أبو موسى الأشعرى ورأسه فى حجر امرأة من أهله ، فأقبلت تصيح ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال : أنا برئ ممن برئ منه رسول الله ﷺ : « برىء من الصالقة والحالقة

(١) انظر الحديث فى الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٥٢ بلفظ قريب ، وقال المنذرى تخريج الخمسة إلا الترمذى فى آخره رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

والشاقـة » رواه البخارى ومسلم وابن ماجة والنسائى إلا أنه قال : « أبرأ إليكم كـما برئ رسـول الله ﷺ ، ليس منا من حلق وخـرق وصلق » الصالقـة : التى ترفع صوتها بالـندب والنياحة ، والحـالقة : التى تحلق رأسها عند المصيـبة ، والشاقة : التى تشق ثوبها . وعن أسـيد بن أسيد النابعى ، عن امرأة من المبايعات قالت : كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ فى المعروف الذى أخـذ علينا : « أن لا نخمش وجهـاً ، ولا ندعو ويلا ، ولا نشق جـيـباً ، ولا ننـشر شـعـراً » رواه أبو داود ، وعن أبى أمامـة : أن رسول الله ﷺ : « لعن الخامشة وجهها ، والشاقة جيبها ، والداعية بالويل والثبور »[1] .

*****

(١) رواه ابن ماجه فى سننه ، وابن حبان .

الإستعاذة من النساء النفاثات

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ الفلق : ٤ .

قال تعالى فى سورة الفلق : ومن شر النفاثات فى العقد ، هن السواحر ، أى : وأعوذ برب الفلق من شر النفوس النفاثات ، أو النساء النفاثات ، والنفث النفخ ، وكان يفعل ذلك من يرقى ويسحر ، قيل : مع ريق : وهو دليل على بطلان قول المعتزلة فى إنكار تحقق السحر وظهور أثره ، والعقد : جمع عقدة ، وذلك أنهن كن ينفثن فى عقد الخيوط حين يسحرون بها ، قال أبو عبيدة : [1] النفاثات هن بنات لبيد ابن الأعصم اليهود ، سحرن النبى ﷺ وأخرج النسائى وابن مردوية عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق بشىء وكل إليه » .

*****

(١) أخرجه الخمسة إلا الترمذى .

كذب النساء

عن أسمـاء « أن امرأة قـالت : يا رسول الله ،إن لى ضـرة ، فهل على من جناح إن تشبعت من زوجى غير الذى يعطينى ؟ فقال : المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى » [1].

وعن عبد الله بن عامر ، قال : « دعتنى أمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعـد فى بيتنا ، فقـالت : تعالى أعطك ، فـقال لها رسـول الله : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمراً فقال لها : أما إنك لو لم تعطه شيئاً . كتبت عليك كذبة » .

حرمة استمتاع النساء بالنساء

عن أنس رضى الـله عنه ، قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « إذا استـحلت أمتـى خمسـاً فعليـهم الدمار : إذا ظهـر التلاعن ، وشـربوا الخمـور ، ولبسوا الحرير ، واتخذوا القـيان ، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء » رواه البيهقى .

*****

(١) اخرجه ابو داود فى سننه .

زمان للنساء فيه جبروت *

عباد الله نحن فى زمن كله عجائب ، يعجب العاقل اللبيب ، ومن أعجب ما فيه أن الرجال أصبحوا لا سلطان لهم على النساء إلا النادر القليل ، نعم أصبحنا فى زمن للنساء فيه جبروت ، أمامه الرجال فى حال ضئيل . انعكس الأمر فصار القوى ضعيفاً والضعيف قوياً ، فإن كنت فى شك من ذلك فاخرج وانظر فى الشوارع ترى النساء تجول فى الشوارع ذاهبات آيبات ويتثنين فى تبخترهن ، عليهن من الزينة ما يرغم على النظر إليهن كل من له عينان ، ولا تسأل عما يحدثه ذلك النظر في نفوس الشبان وأشباه الشبان ، تراه إذا لمحها أتبعها نظرة ثم جرى وراءها لأنه يفهم من هيئتها وتثنيها وتلفتها فهما لا يقال له إنه فيه غلطان ، إنه يفهم أنها إذا لم تكن تريد منه ما تريد ما عرضت نفسها فى الشارع بذلك التهتك وذلك الأزديان وهى فى بيتها أمام زوجها الذى ينبغى أن تتجمل له تكون بحالة تشمئز من رؤيتها نفس الإنسان . تلبس له أردى الملابس ولا تمس طيباً ولا تعتنى له ، فإذا أرادت الخروج بذلت من العناية فى تجميل نفسها ما يلهب نار الشوق إليها فى نفوس الناظرين وهذه حالة تجعل العيون وقفاً على النظر إلى تلك الأجسام وتشغل القلوب شغلا به تنسى كل شيء حتى نفسها وربها وماله عليها من واجبات ، وتوجه الأفكار إلى أمور دنيئة يقصدها من أولئك النساء أرباب النفوس الدنيئات بل وتدفع النفوس دفعاً تستغيث منه الفضيلة

* موارد الظمآن لدروس الزمان للشيخ : عبد العزيز السلمان من ٣١٨ ـ ٣٢٠ .

ويغضب له الواحد القهار .

إن أولئك النساء زوجات وبنات وأخـوات رجال يرونهن بأعينهم فى الشوارع بتلك الحـال ، يرونهن وليس لهم من الغيرة مـا يفهم أنهم من صنف الرجال ، وأمامهم يجرين الزينة التي يخرجن بها إلى تلك الميادين الملأى بالأنذال ، وبعضهم يستصحب زوجـته معه سافرة فى الشوارع ، وربما فهم بعض الفسـاق أنه يتصيد لها ، وذلك يجرى على ألسـنة كثير منهـم ، أيها الأخ ــ عـصمنا الله وإياك وجمـيع المسلمين ــ أنت أقوى عـقلاً وأقـوى ديناً من المرأة لا خلاف فـى ذلك ، إن لم يعصـمك الله تتمنى أن تكون منك مع المرأة ما يكون إذا وقع نظرك على مالها من بهاء وجمال ، فـتأكد كل التأكـد أن تمنى المرأة أقوى من تمنى الرجل إذا وقع نظرها على جميل من الرجـال ولا تشك أنها بعد رؤيتها الجـميل تتمنى فراقك إليـه وربما دعت عليك ، نحن فى جو موبوء بفـساد الأخلاق ، من تعرض له أصـابه من ذلك الوباء ما يضـيعه فى دنـياه وفى الدين ، فـصن نسـاءك عن الخـروج إليـه إن أردت وإلا فـلا تلم إلا نفـسك إذا أصبحت فى عداد الضائعين والضائعات وأنت ترى كل يوم ما يكون فى الطرق نساء غيرك فـلا تشك أن نساءك يلاقين مثله وأشد منه وأى رجل يرضى أن تخرج نساؤه ليلعب بعفافهن وشرفهن من لادين له ولا شرف ولا أخلاق .

إن البهيم يغار ومعارك ذكور البـهائم على إناثها معروفة ، فلا تكن أقل غيـرة من البهيم ، ولولا أننا نرى بأعـيننا مبلغ ضعف رجـالنا أمام النساء ما صدقنا إن يسـتصحب الرجل زوجته سافرة راكبـة أو غير راكبة

تقدمه .

أيها الأخ أنت الذى تلقى المشاق من حر وبرد وأنت مشغول بالكد لأجل جلب الرزق ، يكون منك ذلك لتطعم المرأة وتكسوها وتنفق عليها ففضلك عليها كبير كما قال تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ وأنت أرجح منها عقلاً وأكمل ديناً ، فمن الغلط أن تكون معها كالعبد المملوك يصرفه مولاه كيف شاء ، وإذا كنت كما ذكر الله قواماً عليها فأنت مسؤول عنها ؛ لأنك راعيها والراعى مسئول عن رعيته ، فأنت مثاب إن وجهتها إلى عمل الخير وآثم إن سكت عنها وهى تعمل أعمالا ليست مرضية ، فانظر ماذا عليك من الإثم فى خروج زوجتك وما يترتب عليه من بلايا مرئية فحل بينها وبين ما تعلم أن فيه ضرر عليها وكل عمل يغضب ربك وإلا فأنت شريك لها فى كل ما لها من أوزار .

كل هذا سببه مخالطة ربائب الاستعمار الذين تشبهوا به وقلدوه فى الأقوال والأفعال ، وقلدهم كثير من نسائنا ، وصدق المصطفى ﷺ حيث يقول : « لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه » وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

*****

رؤية فى عمل المرأة *

وهناك رؤية فى عـمل المرأة ووجه آخـر قد نغـفله مع أصالتـه وقد نتناسـاه مع أولويته ، ألا وهو عـمل المرأة فى بيت زوجهـا ؛ لأنه حين يطلق عمل المرأة يتبـادر فى أذهان الكثير منا عملهـا خارج البيت ورحم الله الإمام البخارى وهو يضع كتابه الصـحيح وضمن كتاب « النفقات » يضع باب عمـل المرأة فى بيت زوجها ، ثم يسـوق قصـة امرأة هى فى عداد سيدات نسـاء العالمين ، إنها فاطمة بنت محـمد ﷺ وزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأسوق الحديث لأهميته ، فعن على قال : إن فاطمة أتت النبى ﷺ تشكو إليـه ما تلقى فى يدها من الرحى وقد بلغـها أنه قـد جاءه رقـيق ، وفى رواية أبى داود عن على أيضـاً قال : كانت عندى فـاطمة بنت النبى ﷺ فجرت بالرحى حـتى أثرت بيدها ، واستنت القربة حتى أثرت فى عنقها ، وقهمت البيت حتى اغبرت ثيابهـا وخبزت حتى تغـير وجهها ، ومع ذلك فقـد أوصاها النبى ﷺ وزوجها على بما هو خير وأبقى وهو يقول : « ألا أدلكمـا على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتـما إلى فـراشكما أو أخـذتما مضـاجعكما فكـبراً ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وسـبحا ثلاثاً وثلاثين فهذا خـير لكما من خادم » ، ويقـال إن علياً رضى الله عنه مـا ترك هذه الوصيـة حتى ليلة صفين ، ثم نجـد فى الكتاب نفســه البخارى بـوب باباً آخر ويقـول : « باب عون المرأة زوجها فى ولده » ، ثم يورد قـصة زواج جابر وقد سأله

---

* المرأة بين البيت والعمل ــ مرجع سابق .

النبى ﷺ « أتزوجت يا جابر ؟ فقلـت : نعم ، فقال : بكراً أم ثيـب ؟ فقلـت : بل ثيب ؟ فقال : فهل من جارية تداعبها وتداعبك وتضاحكها وتضاحك ؟ فـقلت له : إن عبد الله هلـك وترك بنات وإنى كرهت أن أجيئـهن بمثلهن فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحـهن ، فقال الرسول ﷺ : بارك الله لك » .

أو ليس ذلك أيها الأخوة نموذج رفيع لعمل المرأة والرسول ﷺ يقره بل يباركه ؟! .

*****

قرار المرأة فى بيتها *

وقرار المرأة فى بيتها منطق الفطرة ووحى الشرع فمنطق الفطرة يقول ـ وأعنى الفطرة السوية ـ إن البيت هو المكان الطبيعى الذى تتحقق فيه وظائف الأنوثة ونماؤها وبقاؤها فيه هو بمثابة الحصانة التى تجنب تلك الوظائف وقوانينها أسباب البلبلة والفتنة ، وتوفر لها تناسقها فى مجالها وتوفر لها أسباب التركيز والراحة الذهنية والبدنية ونحوه مما يهيئ الظروف الضرورية لعملها .

إذا كان ذلك منطق الفطرة فإن وحى الشرع ، وحكمة الشارع جل وعلا تقول : ﴿ **وقرن فى بيوتكن** ﴾ ويقول عز من قائل : ﴿ **لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن** ﴾ قال القرطبى ـ عليه رحمة الله ـ « أى ليس للزوج أن يخرجها من مسكن الزوجية ولا يجوز لها الخروج إلا لضرورة ظاهرة ، ونظراً لكون هذه الآية نزلت فى المعتدة فقد يتبادر إلى الذهن . خصوصية الحكم بهذه الحالة ولكن الأمر يتعدى ذلك ، كما قال ابن العربى وقد نقل عن مالك قوله : لا تخرج المعتدة دائماً ، وإنما أذن لها فى الخروج إذا احتاجت إليه ، وإنما خروجها من العدة كخروجها فى الزواج ، لأن العدة زواج ، بل لقد لاحظ أئمة الفقه والتفسير هنا ملاحظة دقيقة معبرة لاحظوا فى تعبير الآيات : ﴿ **وقرن فى بيوتكن** ﴾ وفى قوله تعالى : ﴿ **لا تخرجوهن من بيوتهن** ﴾ لاحظوا ملاحظة دقيقة

---

* المرأة بين البيت والعمل لسليمان بن أحمد العودة .

ينبغ الوقوف عندها قالوا : إن البيوت مضافة إلى ضمير النسوة فى قوله تعالى ﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ﴾ وأيضاً فى قوله تعالى ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ مع أن البيوت غالباً للأزواج لا للزوجات فخرجوا من ذلك أنها ليست إضافة تملى بل إضافة إسكان تقررت لاستمرار لزوم المرأة للبيت إلا لحاجة حتى أضيفت إليها ، وفى الحديث يقول الرسول ﷺ مؤكداً قرار المرأة فى بيتها : « صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » (١) فإذا كان هذا فى أعظم عبادة وهى الصلاة التى أذن الرسول ﷺ فيها الذهاب إلى المسجد وهو يقول : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » (٢) .

أقول إن هذا التوجيه النبوى فى الصلاة دليل على حرص الإسلام على قرار المرأة فى بيتها ؟

وأسوق لكم نموذجاً رائعاً لفهم المرأة لنصوص القرآن ، وهذا النموذج ليس من نماذج عصر النبوة ولا عصر الراشدين والأمويين حتى لا يظن أن نماذج الحشمة والعفاف قصر على هذه القرون بل ما أسوقه يمثل نموذجاً لحياة مجتمع يفصل بينه وبين موت النبى ﷺ أكثر من خمسة قرون :

يقول ابن العربى عليه رحمة الله وهو يحكى واقعة شاهدها ــ ابن العربى توفى فى القرن السادس هجرى ــ يقول معلقاً على قوله تعالى : ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ لقد دخلت ضيفاً على ألف قرية وبلدة فما رأيت

---

(١) رواه أبو داود فى سننه والحاكم فى المستدرك وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٧٢٧) .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده .

نساء أصون عياﻻً ولا أعف نساء من نساء نابلس التى رمى فيها الخليل عليه السلام بالنار ، فإنى أقمت فيها أشهراً فما رأيت امرأة بالطريق إلا يوم الجمعة فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن فإذا قضيت الصلاة وانقلبن إلى بيوتهن لم تقع عينى على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى ، ثم يقول ابن العربى : وقد رأيت المسجد الأقصى عكائف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدت فيه . . هذا وقع يحكيه ابن العربى فى القرن السادس الهجرى ، بل بلغ الأمر فى بعض الصحابة أن يتردد فى جلب الجلباب لزوجته مخافة كثرة الخروج من بيتها ، وقد ذكر ابن الأثير فى النهاية أن امرأة ابن مسعود سألته أن يكسوها جلباباً فقال : إنى أخشى أن تدعى جلباب الله الذى حلبيبك ، قالت : وما هو ؟ قال : بيتك .

*****

أختاه
تذكري حتى لا تندمي

إلى كل فتاة تؤمن بالله *

وإنما أعنى بالفتاة التى تؤمن بالله ، تلك التى أيقنت بوجوده إلهاً واحداً لا شريك له فى ذاته وصفاته ، وأيقنت أنه النافع فلا نافع سواه ،وأنه الضار ـ إذا شاء ـ فلا ضار سواه ، إليه مرجع الناس كلهم فى يوم عظيم لا ريب فيه ، يكشف فيه الحجاب عن كل غيب مستور ، وحقيقة خافية ، يوم الحسرة والندامة لمن كان قد اغتر بدنياه وفرط فى جنب الله ، ويوم الغبطة والسعادة لمن كان قد فهم الدنيا على حقيقتها ، فاتخذ منها عوناً لسلوك السبيل إلى مرضاة الله .

فلا جرم أننى لا أعنى تلك التى سمعت بالله ولم تفهم عنه شيئاً ، وورثت كلمة الإيمان شعاراً على اللسان ولم تستيقن مضمونها عقيدة فى الجنان ، قد يتكرر اسم الله على لسانها فى اليوم أكثر من عشرين مرة ، ولكنها لا تتنبه لسلطانه وبالغ سطوته فى الشهر أو العام مرة واحدة . مثل هذا الإيمان ، لا يورث القلب أى خشية ، ولا يقود صاحبه إلى اتجاه ، ولا شأن له بتقويم شىء من مظاهر الحياة والسلوك .

فأنا إنما أتجه بحديثى فى هذه الرسالة إلى كل فتاة آمنت بالله إيمانا إراديا حراً منبثقاً عن رضاها القلبى وشعورها النفسى ، ويقينى أن مجتمعنا يفيض بكثير ممن يتمتعن بهذا الإيمان .

أتجه إلى كل فتاة تؤمن فى قرارة قلبها بالله هذا الإيمان لأقول لها :

إن أمـر وجودنا فى هـذه الحيـاة جد وأخـطر من الجد ! . . . فـلا يحجبنـك عن تصور عاقبتـها أى لون من ألوان مغرياتهـا ، ولا ينسيك هوانها كثرة ما ترين من المتـعلقين بها ، ولا تنس أن الناس إنما يجتازون إلى الله فى هذه الدنيا بساعة امتحان سواء علموا ذلك أم جهلوا ، وربما طالت هذه الساعـة أو قصرت ، ولكنهـا على كل حال ليست أكـثر من ساعة امتحان وإذا كان الاجتياز بهذه السـاعة الامتحانية قدراً مشتركاً بين الرجال والنسـاء على السواء ، فـإن المرأة تمتاز عن الرجـال بحمل عبء آخر شديد الخطورة فى الدنيا وعظيم الأثر فى العقبى فالمرأة بالاضافة إلى كونها تشترك مع الرجال فى إجتياز هذه السـاعة الإمتحانية ، تعتبر مادة من أهم موادها الامتـحانية ذاتها ! ذلك لأن الشهوات على اخـتلافها ، هى المنزلق الإمـتـحـانى الذى بسط به وجـه هذه الدنيـا ، وإنما المرأة ـ بتقرير الله تعالى وصريح بيانه ـ أول نوع من هذه الشهوات أو ليس هو القـــائل ﴿ **زين للناس حب الشهـوات من النسـاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وذلك متاع الحيـاة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾

فقد عد الله النساء من الشهـوات التى وضعها زينة وابتلاء فى طريق الناس ، ولولا أنهـا تفـوق سائرهـا فى الخطورة والأهميـة ، مما جـعل مرتبـتها فى الذكر قـبلهن جميـعاً ، وإذا فالمرأة فى حيـاة الإنسان أخطر ابتلاء دنيوى على الإطلاق ، وسـر ذلك ، أن جميع الآثام التى حظرها الله تعـالى على عـباده ليس بينهـا وبين الإنسـان أى إنسجـام فطرى ، فـالظلم بأنواعـه المختلفـة مـحرم ويعين الإنسـان على تجنبـه أن الفطرة

الإنسانية تشمئز منه ، وشرب الخمر محرم ، ويهون من أمر تحريمه أن الفطرة الإنسانية الأصلية تعافها ، وكذلك السرقة ، والغش ، والغيبة ، والنميمة ، وبقية المحرمات الأخرى ، كلها لا تتفق مع مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة ، ولا يجنح إلى شيء منها إلا من ابتلى بشذوذ أو انحراف فى طبيعته وفطرته لسبب من الأسباب التى قد تطرأ فى حياة الإنسان ، وإنما يستثنى من هذا العموم شيء واحد فقط ، هو الغريزة الجنسية فى كل من الرجل والمرأة ، فهى على الرغم من كونها تدفع إرتكاب محظور ــ بعد فى ذروة المحاظير الشرعية ــ ما لم ينضبط بحدود وقيود معينة تعتبر من أخص مستلزمات الفطرة الإنسانية وأهم متطلباتها ، ولا سبيل لأى إنسان ما دام إنساناً طبيعياً لا شذوذ فيه إلى أن ينفك عنها أو يسمو فوقها .

ومن خلال هذه المقارنة تستطيعين أن تدركى بأن الشهوة الجنسية فى الإنسان أخطر ابتلاء دينى فى حياته ، إذ فى الوقت الذى تقف الفطرة الإنسانية فيه عوناً على تطبيق حكم الله بالنسبة للمعاصى والمنكرات فإنها تقف بالنسبة للشهوة الجنسية مثيرة لها أو عاجزة ــ فى أحسن الأحوال ــ عن أن تكبح لجامحها أو تقلل من هياجها ، وبناء على ذلك فإن العلاج الإسلامى بالنسبة لسائر المعاصى يكمن فى مزيد من الإبتعاد عنها والاستعلاء فوقها ، أما بالنسبة لأمر الجنس خاصة ، فقد كان العلاج هو الارتواء منه ، وإمتاع الغريزة به ، ولكن ضمن حدود مرسومة معينة لا يتجاوزها ، فهذا معنى قولنا : إن المرأة أخطر مادة امتحانية فى حياة الرجل على الإطلاق .

وربما تقولين : ولم لا يعتبر الرجل أيضاً أخطر مادة امتحانية فى حياة المرأة ما دام الشعور الجنسى شائعاً بينهما ، وبذلك يتساوى عبء كل من الرجل والمرأة وتتكافأ مهامهما ؟!

والجواب : إن الفاطر الحكيم جل جلاله أقام فطرة المرأة على أسس نفسية جعلت منها مطلوبة أكثر من أن تكون طالبة ، فهى مهما استشعرت إلحاحاً غريزياً فى كيانها تظل وأسباباً تجعله يلح فى طلبها والسعى وراءها ، وبذلك تكون المرأة فتنة للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنة للمرأة .

وقد قرر رسول الله ﷺ تلك الحقيقة بإختصار فى قوله : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » متفق عليه .

وإذا قد فرغنا من إيضاح هذه الحقيقة ، فتعلمى أن أمر هذه الفتنة التى إبتلى بها الرجل ـ تشيداً وتهويناً ـ عائد عليك ـ فالمرأة تستطيع إذا شاءت أن تجعل من شأن نفسها بلاء صاعقاً للرجل لا يكاد يجد سبيلاً للنجاة منه ، وتستطيع أن تجعل من شأن نفسها عوناً له على السير فى طريق السلامة والنجاة ومن هنا كان أخطر الوظائف الإسلامية التى كلف الله بها المرأة أن تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، حتى لا يقعوا فى رهق من أمر البلاء أو الامتحان .

وقد تم الإجماع على أن المرأة لا تحرز رضا الله تعالى عنها بعمل من الأعمال الصالحة ، كما تحرز بالسعى فى سبيل يعين الرجل على الاستقامة الخلقية وضبط نوازعه الشهوانية ، ولا تتسبب لغضب الله

تعالى عليها بعمل من الأعمال المحرمة كما تتسبب إلى ذلك بالسعى فى سبيل أن تثير فى الرجل نوازعه الشهوانية وتقصيه عن أسباب الإستقامة والعفة الخلقية .

وما كان أكثر أهل النار النساء ـ بإخبار النبى ﷺ ـ فى الحديث الصحيح ، إلا جملة عوامل ، من أهمها ، أنهن لا يتقين الله تعالى فى هذه الوظيفة الخطيرة التى خصها الله تعالى بهن .

*****

كلمة أخيرة للشيخ البوطي

كلمة يجب أن أتجه بها إلى اللواتى استيقنت أفئدتهن الحق الذى بينته ، غير أن الواحدة منهن تشعر ببعد النقلة بين الواقع الذى تعيش فيه والحق وتعتذر إلى الله أو إلى الناس بأنها وهكذا فإن فى الناس طائفة كبيرة من المنحرفين والمنحرفات ، لا يمسكهم على انحرافهم ويمنعهم من السعى إلى إصلاح حالهم إلا ما يرونه من بعد الفجوة وعمقها بين الكمال الذي يسمعون عنه فى الواقع الذى يعيشون فيه ، ولكن هذا التصور خاطئ فإن الفاصل الذى بين الحق والباطل إنما يتمثل فى الفرق بين أدنى طرف من الباطل وأول درجة من درجات الحق وفرق ما بينهم لفتة صغيرة وحركة بسيطة ، وإن الحق الذى أوضحناه فى الصفحات الماضية ، ليس نهاية مستقلة تقبع فى قمة السمو والكمال ، ولكنه سلم ذو درجات متقاربة ، تبدأ أولاها عند طرق الباطل الذى تعيشين فيه ، وتقف الأخيرة عند نهاية الكمال الذى يشدك إليه تشريع الله وحكمه ، وإنما المطلوب منك بعد أن تنبهت إلى الحق وآمنت به . . . أن تتحركى صاعدة فى درجاته ، لها إن تقفزى قفزة إلى نهايته ! . .

إذا كنت لا تملكين من الطاقة والإرادة أو الظروف ما تفرضين به على نفسك حجاباً سابغاً للجسم والوجه ، فلتفرضى على نفسك ما دون ذلك ما تساعدك عليه الظروف والأحوال ، وإذا كنت لا تجدين طاقة كافية لتغيير أى شيء من لباسك وهيئتك ، مهما كانت منحرفة وبعيدة عن الله عز وجل فلتفرضى على نفسك ما دون ذلك أيضاً ، من

أداء العبادات المفروضة ، وتلاوة شيء من كتاب الله بتدبر خلال كل صباح ومساء ، وإذا كنت عاجزة عن الارتباط حتى بهذا القدر فى سبيل الإصلاح فلتفرضى على نفسك ما دون ذلك من إستشعار خطورة الحال التى أنت فيها والإلتجاء إلى الله ينبوع الصبر والتوفيق وما سار إلى الحق بادئا بخطوة من هذه الخطا متجها إلى الله بصدق وعزم ، إلا وفقه الله تعالى فى السير إلى نهاية الطريق والوصول إلى مجامع ذلك الحق ، وإنما المصيبة كل المصيبة أن تعلمى الحق ، وتؤمنى به ، ثم لا تتجهى إليه بخطوة ولا بعزم ، كأن الأمر ليس مما يعنيك فى شيء ، أو كأن الذى شرع هذا الحق وأمر به لن تطولك يده ، ولن يبلغ إليك بطشه وسلطانه .

أو كانت الآخرة وما فيها أهون من أحد يتخلى الإنسان فى سبيلها عن شيء من أمانيه وأهوائه ! مثل هذا الحال ، يعتبر أعظم سبب لاستمطار غضب الله تعالى والتعجيل بعقوبته ، وعقوبة الدنيا هنا لا تتمثل فى بلاء عاجل يحيق بالإنسان ، وإنما تتمثل فى انغلاق العقل وقسوة القلب فلا يؤثر فى أحدهما تذكير ولا تخويف ولا تنبيه ، مهما كانت الأدلة واضحة والنذر قريبة ، حتى إذا جاءه الموت تخطفه وهو على هذا الحال ، فينقلب إلى الله تعالى ، وقد تحول انغلاق عقله وقسوة قلبه إلى ندم يحرق الكبد فى وقت لا ينفع فيه الندم ولا رجوع فيه إلى الوراء . . .

وقد عبر الله تعالى عن هذه العقوبة وسببها بقوله : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ**

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف : ٥٧) فإذا كنت تؤمنين بالله ، فلا ريب أنك تؤمنين بشريعته وباليوم الآخر .

وإن من مستلزمات هذا الإيمان ، أن تضعى الكلام الذى سردته عليك من هذه الرسالة موضع الجد والإهتمام من تفكيرك حتى إذا أيقنت أننى لم أخدعك بباطل من القول ، ولم أضع بين يديك إلا الحقيقة الصافية التى يتمثل فيها حكم الله عز وجل ، كان عليك أن تنهضى إلى تطبيق هذا الحكم بالسير فى مراحله المندرجة ، فإن رأيت أن حيال الدنيا وأهواءها ، وتقاليد الصديقات والقريبات ، تشدك إلى الخلف وتصدك على النهوض بأمر الله فلا أقل من أن تفيض الحسرة فى قلبك من ذلك فيسوقك الألم إلى باب الله تعالى وأعتاب رحمته ، لتعرضى له ضعفك وتجأرى إليه بالشكوى ، أن يهبك من لدنه قوة وتوفيقاً ، وأن يمنحك العون لتتحرى عن سلطان التقاليد والعادات ، وسلطان الأقارب والصديقات ، أما إن لم ينهض بك الإيمان إلى هذا ولا إلى ذلك ، ولم يتحرك القلب الذى وراء ضلوعك بأى تأثر وإهتمام لكل هذا الذى حدثتك به ـ فلتكونى فى شك من إيمانك بوجود اللة تعالى ، ولتعلمى أنك تسيرين ـ إن إستمرت تلك الحال ـ إلى نهاية رهيبة وليس فيها مخلص ولا مفر ، ولتعلمى أن سكر الدنيا مهما كان لذيذاً فيوشك أن تفجأك منها ساعة صحو وانتباه ، وأنها والله لقريبة منك .

ولتعلمى أن مذاقها مهما كان طيباً فإن فى نهايتها غصة ستأخذ منك بالحق ، وإنها والله لمقبلة إليك ، ثم اعلمى أنه ما من شاب يبتلى منك

اليوم بفتنة تغـريه أو تشغلى له باله ، وكان بوسعك أن تجـعليه فى مأمن منها إلا أعـقبك فيهـا غدا نكال من الله عظيم ، فاذكـرى فى آخر هذه الرسالة ما قد نبهت إليـه فى أولها ، من أن المرأة فى حياة الرجل أخطر ابتلاء له على الإطلاق ، فاجعلى من تقوى الله تعالى من سلوكك عوناً للرجال على السعى فى سبيل مرضات الله ، ولا تجعلى من إلامعان فى معصية الله عوناً له على السير فى طريق الشيطان .

*****

رسالة إلى كل محجبة *

أختاه يابنت الإسلام تحشمي

أختاه يا بنت الإسلام تحشمي ... لا ترفعي عنك الخمار فتندمي
هذا الخمار يزيد وجهك بهجة ... وحلاوة العينين أن تتلثمي
صوني جمالك إن أردت كرامة ... كيلا يصول عليك أدنى ضيغم
لاتعرضي عن هدى ربك ساعة ... عضي عليه مدى الحياة لتغنمي
ما كان ربك جائراً فى شرعه ... فاستمسكي بعراة حتى تسلمي
ودعي هراء القائلين سفاهة ... إن التقدم فى السفور الأعجمي
إياك إياك الخداع بقولهم ... سمراء ياذات الجمال تقدمي
إن الذين تبرؤوا عن دينهم ... فهم يبيعون العفاف بدرهم
حلل التبرج إذا أردت رخيصة ... أما العفاف فدونه سفك الدم
بنت الإسلام ما أرى لك شيمة ... هذا التبرج يا فتاة تكلمي
حسناء يا ذات الدلال فإننى ... أخشى عليك من الخبيث المجرم
لاتعرضي هذا الجمال على الورى ... إلا لزوج أو قريب محرم
لا ترسلي الشعر الحرير مرجلاً ... فالناس حولك كالذئاب الحوم
أنا لا أحبذ أن أراك طليقة ... شرقاً وغرباً فى الجنوب ومشأمي
أنا لا أريد بأن أراك جهولة ... إن الجهالة مرة كالعلقم
فتعلمي وتثقفي وتنوري ... والحق يا أختاه أن تتعلمي
لكنني أمسى وأصبح قائلاً ... أختاه يا بنت الإسلام تحشمي

* من رسالة : « أختى المسلمة . من أمرك بالحجاب) دار الدعوة السلفية ، القصيدة تحت عنوان (أختاه يا بنت الخليج تحشمي) إلا أننى قمت بتغيير كلمة الخليج حتى نجعلها عامة لكل النساء إلى كلمة الإسلام وكذا تغيير كلمة الجزيرة إلى الإسلام .

يا ابنة الإسلام *

رســالتى يــا ابنة الإســـلام والحـــسب
إليك مــن عـــقل أســتـــاذ وقلب أبِ
يا من هــديت إلى الإســـلام راضـــيـــة
ومــا ارتضـيت سوى منـهاج خـيــر نبى
يا درة حــــفظـت بالأمس غـــاليـــة
واليــوم يبــغــونهــا للــهــو والــلعب
يا حـــرة قـــد أرادوا جـــعـلهـــا أمـــة
غـريبـة العـقل ، لكن اسـمهـا عـربى
هل يســتــوى من رســول الله قــائده
دومـــاً ، وآخـــرهــاديه أبو لــهب ؟!
وأين من كـــانت الزهراء أســـوتهـــا
ممن تقـــفت خطى حــمـــالة الحطب ؟!
أخـــتــاه لــست ببنت لا جـــذور لهـــا
ولست مــقطوعــة مـــجــهـولــة النسب
أنت ابنة الــعـرب والإســلام عـــشت به
فى حـــــضن أطهـــر أم مـــن أعـــز أب
فـــلا تبـــالى بمــا يلقـــون من شـــبـــه
وعندك العـــقل إن تدعـيــه يســـتــجب

* نفس المرجع السابق ص ٢٤ .

سليـه من أنا ؟ من أهلى ؟ لمن نسـبى ؟
للـغــرب أم للإســلام والعــرب ؟
لمن ولائى ؟ لمن حبـى ؟ لمن عـملى ؟
لـله أم لـدعـــاة الإثـم والكـذب
ومــا مكـانى فى دنـيــا تموج بـنا
فى مـوضع الرأس أم فى مـوضع الذنب
همـا سـبيـلان يـا أخـتـاه مـا لهـمـا
من ثالث ، فـاكسبى خيـراً أو اكتسبى
ســبـيـل ربك والقــرآن منـهــجـه
نور مـن الله لم يـحــجب ولم يـغب
فى ركـبـه شـرف الدنيـا وعـزتهـا
ويوم نبـعـث فـيــه خـيــر منـقلب
فـاسـتـمـسكى بعـرى الإيمان وارتفـعى
بالنفس عن حـمـأة الفجـار ، واجـتنبى
إن الـرذيـلـة داء شــــره خـطـر
يعــدى ويمتـد كــالطاعــون والجـرب
صـونى حيـاءك صونى العـرض لا تهنى
وصـابرى ، واصـبرى للـه واحتـسـبى
إن الحــيــاء من الإيمان فــاتـخـذى
منه حـليك يا أخـتــاه واحـتــجـبى
ويا لقــبـح فــتــاة لا حــيــاء لهــا
وإن تحلـت بغـــالـى الماس والـذهب

إن الحجاب الذى تبغيه مكرمة
لكل حواء ما عابت ولم تعب
نريد منها احتشاماً عفة أدباً
وهم يريدون منها قلة الأدب
لا تحسبى أن الاسترجال مفخرة
فهو الهزيمة أو لون من الهرب
ما بالأنوثة من عار لتنسلخى
منها ، وتسعى وراء الوهم فى سرب
ولست قادرة أن تصبحى رجلاً
ففطرة الله أولى منك بالغلب
يارب أنثى لها عزم ، لها أدب
فاقت رجالاً بلا عزم ولا أدب
وإن هوى بك إبليس لمعصية
فأهلكيه بالاستغفار ينتحب
بسجدة لك فى الأسحار خاشعة
سجود معترف لله مقترب
وخير ما يغسل العاصى مدامعه
والدمع من تائب أنقى من السحب

*****

نجاة المرأة من النار *

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، دخلت من أى أبواب الجنة شاءت » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وختاماً : أختاه ما أحلى العودة إلى الله ، وما أحلى التصالح مع الله ، وما أجملها من لحظة حين يترك العبد المعصية ويعود إلى رحاب الإيمان ، ويالسعادة العبد حينما يذوق طعم المعصية المر فى درب الشيطان ثم يتوب فيذوق حلاوة الإيمان ، و يا بؤس من أوى إلى كهف الشيطان ، خسارة فى الدنيا ، وذل فى الآخرة وهوان .

الطريق إلى الله منير ، تعلوه وتحفه الرحمات والبشارات ، من تمسك به نجا ، ومن ذاق حلاوة التمسك بالدين لم يرض عنها بديلاً مهما كانت الإغراءات الزائلة ، أو العروض الزائفة ، فعودى يا أختاه إلى الله .

*****

* فرضية النقاب ـ للمؤلف ـ ط أولى ـ ص ٤٦ .



مواقف
نورانيـة للنسـاء

كلمة الباب

أما وقد قدمنا فى الصفحات السابقة ما يثبت أن النساء أكثر أهل النار من خلال النصوص الصحيحة من أحاديث النبى ﷺ فإننا نثبت فى هذا الباب أيضاً أن من النساء نساء صالحات ضربن أروع الأمثلة فى الصدق والصلاح والإخلاص والتقوى حتى سجل التاريخ قصصهن فى أنصع صفحاته المشرقات .

ولقد كتبت هذا الباب لكل امرأة مسلمة حتى تتحرى الأسوة وتقتدى بالرموز من نساء السلف الصالح .

هذا والله أسال أن ينفع به

*****

صبر وفوز

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال [١] : مات ابن لأبى طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ، فقال : ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحتسب ابنك ، قال : فغضب ، وقال : تركتنى حتى تلطخت ثم أخبرتينى بإبنى ؟ فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ : « بارك الله لكما فى غابر ليلتكما » . قال : فحملت ، قال : فكان رسول الله ﷺ فى سفر وهى معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً ، فدنوا من المدينة فضربها المخاض ، فاحتبس عنها أبو طلحة ، وانطلق رسول الله ﷺ . قال : يقول أبو طلحة : إنك لتعلم يا رب أنه يعجبنى أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد إحتبست بما ترى ، قال : تقول أم سليم : يا أبا طلحة ما أجد الذى كنت أجد (أى من ألم الوضع) انطلق فانطلقنا . قال : وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاماً فقالت لى أمى : لا يرضعه أحد حتى تغدوا به إلى رسول الله ﷺ فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ . قال : فصادفته ومعه ميسم (أى ما يوسم به

(١) الحديث : أخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ، وكذا أخرجه البخارى فى صحيحه .

وهو ما تعلم به الـدابة) ـ فلما رآنى . قال : وجـئت به فوضعـته فى حجره ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها فى فيه حتى ذابت ، ثم قذفهـا فى فى الصبى فجعل الصبى يتلمظهـا ، قال : فقال رسـول الله ﷺ : « انظروا إلى حب الأنصـار التمـر » قـال : فمـسح وجهه وسـماه عبد الله ، وفى رواية فأخرج الله من صلبـه عشرة أولاد كلهم يقرآون كتاب الله .

*****

نساء عالمات

كانت الصـحابية الجليلة أم الدرداء رضى الله عـنها تدرس العلم فى المسجـد الأموى بدمشق لنسـاء عصرها ولمـا بلغ ذلك أمير المؤمنين عـبد الملك بن مروان رضى الله عنه قال : سأذهب اليوم لأسمع العلم من أم الدرداء فصنع له ساتر بينه وبين النساء وأخذ يذهب مـتخفياً ويجلس من وراء الستار ليـسمع التفسير والفـقه والحديث من أم الـدرداء رضـى الله عنهـا .

*****

فتاة مؤمنة

لقد وضع الطعام أمام رابعة العدوية وهى بنت ست سنوات فأبت أن تأكل ، فقال لهـا أبوها يا رابعة ، ما ضر لو أكلـت ؟ فقالت : لا أكل حتى أعلم هذا الطعام من الحلال أم من الحـرام ؟ فقال لها أبوها : وإذا كان من الحرام ولم نجد غيره فماذا عساك أن تفعلى ؟

فقـالت : يا أبتاه أصبـر على جوع الدنيـا خيراً من أن أصـبر على عذاب النار يوم القيامة .

*****

ليلة الزفاف

لما دخل الصحـابى أبو الدرداء رضى الله عنه على زوجـته نصحـها نصيحة قـبل أن تبدأ المعاشرة فقال لها : إذا رأيتين غضـباناً فرضينى وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لا نعيش بعد اليوم أبداً .

*****

الوصايا العشر

إن سيدة من سيدات الإسلام عند ما زفت ابنتها إلى بيت الزوجية أوصتها وصية غالية فقالت لها : يا ابنتى إن الوصية تذكرة للغافل ومعونة للعاقل واعلمى بأن النساء خلقن للرجال ولهن خلق الرجال يا ابنتى إذا أردت أن تدوم المعاشرة بينك وبين زوجك فكونى له أمة يكن لك عبداً وكونى له أرضاً يكن لك سماء واحفظى له خصالاً عشرة يكن له بها ذخراً .

أما الوصية الأولى والثانية : فعليك الخشوع له بقناعة وحسن السمع له والطاعة .

وأما الوصية الثالثة والرابعة : فتفقدى مواضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الوصية الخامسة والسادسة : فتفقدى أوقات طعامه ومنامه فإن شدة الجوع ملهبة وتنغيص المنام مغضبة .

وأما الوصية السابعة والثامنة : فالاحتراس لماله وحسن الارعاع لحشمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التدبير وفى العيال حسن التقدير .

وأما الوصية التاسعة والعاشرة : فلا تفشى له سراً ولا تعصى له أمراً إنك إن أفشيت سره أوغلت صبره وإن خالفت أمره لم تأمنى غدره ثم ختمت وصيتها الغالية قائلة : إياك والفرح بين يديه إن كان حزيناً وإياك والحزن بين يديه إن كان فرحاً .

مسلمات مؤمنات

إن السيدة نفيسة رضى الله عنها وهى من سلالة الإمام الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه قبل أن تموت حفرت قبرها وكانت تجلس فى قبرها وتقرأ القرآن فيه فقرأت فى قبرها القرآن مائة وخمساً وأربعين مرة ولما حضرتها الوفاة فى شهر رمضان المبارك أبت أن تفطر وكانت صائمة فقال الطبيب : انصحوها بالإفطار فقالت السيدة نفيسة رضى الله عنها بلسان الواثق الأمين : أبعدوا عنى طبيبى ودعونى مع حبيبى ، وأخذت تقرأ القرآن وهى على فراش الموت وكانت تقرأ من سورة الأنعام حتى إذا وصلت إلى قول الله تعالى : ﴿ **ولهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون** ﴾ فاضت روحها إلى الله . فاضت إلى جنات النعيم وكان ختامها مسك .

*****

المرأة الصائمة

قال الإمام عبد الله الواسطى رضى الله عنه : دخلت المسجد الحرام ذات يوم فوجدت فيه سيدة تقرأ كتاب الله تعالى عن ظهر قلب فقلت لها : السلام عليك يا أمة الله فردت قائلة ﴿ **سلام قولا من رب رحيم** ﴾ قلت لها : ما اسمك ؟ قالت : ﴿ **واذكر فى الكتاب مريم** ﴾ .

قلت لها : ما الذى جاء بك إلى هذا المكان قالت : ﴿ **ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً** ﴾ قلت لها : أمتزوجة أنت ؟ قالت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ قلت لها : ألك أولاد ؟ قالت : ﴿ **يهب لمن يشاء الذكور** ﴾ قلت لها : ما أسماؤهم ؟ قالت : ﴿ **واذكر فى الكتاب موسى** ﴾ ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض** ﴾ ، ﴿ **واذكر فى الكتاب إبراهيم** ﴾ قلت لها : أتريدين أن تركبى ناقتى ؟ قالت : ﴿ **وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم** ﴾ فلما أرادت ركوب الناقة قالت : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ فلما ركبت قالت : ﴿ **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين** ﴾ فلما أرادت النزول قالت : ﴿ **وقل رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين** ﴾ فلما استقر بها المقام قلت لها : أتريدين طعاماً ؟ قالت : ﴿ **إنى نذرت للرحمن صوما** ﴾ فلما غابت الشمس جاءها أبناؤها فقالت لهم : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف** ﴾ فلما تناولت طعام الفطور واصلت قراءة القرآن ثم بعد ذلك

أصابها شئ من الحزن . قلت : ما لك يا أمة الله ؟ قالت : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق** ﴾ فلما ماتت وصلينا عليها رأيتها فى المنام فقلت لها : مالك يا أمة الله وكيف حال عرضك على الله ؟ فقالت : ﴿ **إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ .

*****

امرأة تعظ عالما

عن القاسم بن محمد قال : « هلكت امرأة لى فأتانى محمد بن كعب القرظى يعزينى بها فقال : إنه كان فى بنى إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد وكانت له امرأة وكان بها معجباً فماتت فوجد عليها وجداً شديداً حتى دخل فى بيت وأغلقه على نفسه واحتجب فلم يكن يدخل عليه أحد فسمعت به امرأة من بنى إسرائيل فجاءته فقالت إن لى إليه حاجة أستفتيه فيها ليس يجزينى إلا أن أشافهه بها ولزمت بابه فأخبر بها فأذن لها فقالت : أستفتيك فى أمر ، قال : وما هو ؟

قالت : إنى استعرت من جارية لى حلياً فكنت ألبسه زماناً ثم إنها أرسلت تطلبه أفأرده إليها ؟ قال : نعم والله ، قالت : إنه قد مكث عندى زماناً فقال : ذاك أحق برده إياها ، فقالت له : يرحمك الله أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك ؟ وهو أحق له منك فأبصر ما كان فيه فنفعه الله بقولها .

حكمة الله

إن رجلاً كان يجلس مع زوجته ذات يوم يأكلان الطعام وإذا بالباب يطرق وإذا بالطارق مسكين ، وكان أمام الرجل دجاجة فقالت له زوجته : ألا أتصدق بها على هذا المسكين ؟ فقال لها : لا بل اذهبى واطرديه عن الباب ومرت الأيام وأصيب الرجل بالفقر فطلق زوجته وبعدما طلقها تزوجت برجل آخر وجلست مع زوجها الثانى ، يأكلان الطعام وكان أمامها دجاجة فطرق الباب طارق مسكين فقال لها الرجل : خذى هذه الدجاجة وتصدقى بها على هذا المسكين فأخذتها وأعطته للمسكين ورجعت تبكى إلى زوجها فقال لها زوجها : لماذا تبكين ؟ أتبكين لأننا تصدقنا بدجاجة ؟ فقالت له : لا ، إننى أبكى لشئ عجيب أتدرى من هذا السائل ؟ إنه زوجى الأول ، فقال : لها أتعلمين من أنا ؟ أنا السائل الأول .

*****

امرأة صالحة *

كان أحد الصالحين واسمه ثابت بن إبراهيم يسير ذات يوم في مدينة الكوفة ، إذ سقطت تفاحة من بستان فأخذها فأكل نصفها وتذكر أنها ليست ملكه فدخل على البستاني وقال له : أكلت نصف تفاحة فسامحني فيما أكلت وخذ النصف الآخر ، أنا لا أملك السماحة لأن البستان ليست ملكي وإنما هي ملك سيدي فقال له وأين سيدك حتى أذهب إليه وأستسمحه ؟ فقال له البستاني : بينك وبينه مسيرة يوم وليلة فقال له : لأذهبن إليه مهما كان الطريق بعيداً فلا يحل لي أن آكل شيئاً بدون إذن مالكه والنبي ﷺ يقول : « من نبت جسمه من حرام فالنار أولى به » .

وحملته قدماه إلى بيت صاحب البستان وطرق بابه وفتح له الرجل الباب وبعد أن سلم عليه قال له : يا سيدي سامحني فيما أكلت من التفاحة وهذا هو نصفها الآخر فنظر صاحب البستان إليه وقال له : يا هذا لا أسامحك إلا بشرط واحد فقال له وما هو ؟ فقال له : أن تتزوج ابنتي ، فقال ثابت في نفسه : وهذ شرط ؟ أكل نصف تفاحة وأتزوج ابنتك ما هذا ؟ وقال أبو الفتاة له : إليك أوصافها قبل أن تعقد عليها وتدخل بها إنها عمياء ، إنها بكماء ، إنها صماء ، إنها مقعدة .

* من كتاب « أنيس المؤمنين » صفوك سعد الله المختار .

وفكر ثابت فى هذا الأمر وقال فى نفسه : أهذه زوجة يصح أن أقترن بها ؟ ومن أجل هذا لا يريد أن يسامحنى فيما أكلت ، ثم قال له صاحب البستان : بغير هذا الشرط لا أسامحك فقال ثابت : قبلت خطبتها وسأقبل زواجها وأتاجر فيها مع الله رب العالمين ، أقوم على خدمتها وأكون بذلك قد وضعت لى حسنات عند الله تعالى .

فدعا أبوها بشاهدين فشهدا على العقد وعقد العقد وإذا بصاحب البستان يأتى بابنته ويدخلها حجرته ليدخل عليها زوجها ليلاً واستعد ثابت للدخول على زوجته فدخل عليها وقال : سألقى عليها السلام وأنا أعلم أنها صماء لترد على ملائكة الرحمن السلام فألقى عليها السلام فردت عليه السلام وهبت واقفة ووضعت يدها فى يده فقال ثابت : ماذا حدث ؟ ردت السلام إذن هى ليست بكماء وسمعت السلام إذن هى ليست صماء وقامت واقفة إذن هى ليست مقعدة ومدت يدها إلى يدى إذن هى ليست عمياء فلماذا أخبرنى أبوها بأن فيها هذه الصفات كلها ؟ فجلس بجانبها يسألها وقال لها : إن أباك قد أخبرنى بأنك عمياء بكماء صماء مقعدة فقالت له الفتاة : لقد صدق أبى وقال لها : ثابت ولكنى لا أرى شيئاً من هذا كله ، فقالت له : إن أبى أخبرك بأننى عمياء لأن عينى لم تنظر إلى ما حرام الله عمياء عن الحرام ، صماء الأذنين عن كل ما لا يرضى الله ، بكماء اللسان لأنى لسانى لا يتحرك إلا بذكر الله ، مقعدة لأن قدمى لم تحملنى على مكان يغضب الله تعالى .

فقال ثابت : فنظرت إلى وجهها فكأنه قطعة قمر ليلة التمام ودخل بها وأنجب منها مولوداً ملأ طباق الأرض علماً إنه الإمام الجليل أبو

حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه .

كانت هذه السيدة أم الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه الذى اجتهد فى ثلاث وثمانين ألف مسـألة فقهيه أبو حنيـفة الذى ظل أربعين سنة يصلى الفـجر بوضـوء العشـاء ، أبو حنيـفة الذى دخل بيت الله الحـرام بمكة المكرمة ذات ليلة من ليالى الشتاء وصلى ركعتين فى بوق الكعبة من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر قرأ فيهما القرآن كله فقرأ فى الركعة الأولى من الفاتحة إلى قـوله تعالـى : ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحـر** ﴾ وقرأ فى الركعة الثانية من أول قوله تعالى : ﴿ **أما السفينة** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **من الجنة والناس** ﴾ .

*****

توبة النساء
من قصص النساء التائبات

توبة أم البنين
بنت عبد العزيز بن مروان *

عن الهيثم بن عدى عن مروان بن محمد ، قال : دخلت عزة صاحبة كثير على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر ، فقالت لها : يا عزة ، ما معنى قول كثير

قضى كل ذى دين علمت غريمه   وعزة ممطول معنى غريمها

ما هذا الدين الذى يذكره ؟ قالت : اعفنى ، قالت : لا بد من إعلامك إياى ، فقالت عزة : كنت وعدته قبلة ، فأتانى لينتجزها فتحرجت عليه ولم أف له ، فقالت لها أم البنين : أنجزيها منه ، وعلى إثمها ، ثم راجعت نفسها فاستغفرت الله ، وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة ، وكانت إذا ذكرت ذلك بكت حتى تبل خمارها ؟ وتقول يا ليتنى خرس لسانى عندما تكلمت بها ! وتعبدت عبادة ذكرت بها فى عصرها من شدة اجتهادها ، فرفضت فراش المملكة تحيى ليلها وكانت كل جمعة تحمل على فرس فى سبيل الله ، وكانت تبعث إلى نسوة عابدات يجتمعن عندها ويتحدثن ، فتقول : أحب حديثكن ، فإذا قمت إلى صلاتى لهوت عنكن ، وكانت تقول : البخيل كل البخيل من بخل على نفسه بالجنة ، وكانت تقول : جعل لكل إنسان نهمة فى شئ ، وجعلت نهمتى فى البذل والإعطاء ، والله للعطية والصلة والمواصلة فى الله أحب إلى من الطعام الطيب على الجوع والشراب البارد على الظمأ ، وهل ينال الخير إلا بالاصطناع ؟ وكانت على مذهب جميل حتى توفيت رحمها الله تعالى .

---

* هذه القصة والقصص التى تليها من كتاب التوابين لابن قدامة المقدسى ـ بتحقيق الشيخ / محمد عبد الملك الزغبى ط المنار ، وفياض .

توبة امرأة

من دومة الجندل عن عمل السحر

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : قدمت امرأة من « دومة الجندل » تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته إحداثه ذلك ، تسأله عن شئ دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به ، قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ، أفرأيتها تبكي حتى إني لأرحمها ؟ تقول : إني أخاف أن أكون قد هلكت ، كان لي زوج ، فغاب عني ، فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ما آمرك به تجعليه يأتيك ، فلما أتانا الليل جاءتني بكلبين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، ولم يكن كشئ حتى وقفنا « بابل » فإذا برجلين معلقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلم السحر ، فقالا : إنما نحن فتنة ، فلا تكفري وارجعي ؟ فأبيت وقلت : لا ، قالا : فأذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ، فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما ، فقالا : أفعلت ؟ فقلت : نعم ، فقالا : هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لم أر شيئاً ؟ فقالا : لم تفعلي ! أرجعي إلى بلدك ولا تكفري ، فأبيت ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ، ثم إني ذهبت فاقشعر جلدي وخفت ، ثم رجعت إليهما ، فقلت : قد فعلت ، فقالا : ما رأيت ؟ فقلت : لم أر شيئاً ، فقالا : كذبت ، لم تفعلي . فارجعي إلى بلدك ولا تكفري ، فإنك على رأس أمرك فذهبت فبلت فيه ، فرأيت فارساً متقنعاً بحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب

عنى حتى ما أراه ، وجئتهما فقلت : قد فعلت ؟ فقالا : ما رأيت ؟ قلت : رأيت فارساً متقنعا بحديد خرج منى فذهب فى السماء حتى ما أراه ، فقالا : صدقت ! ذلك إيمانك خرج منك ، اذهبى .

فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئاً ، وما قالا لى شيئاً ، فقالت : بلى ! لن تريدى شيئاً إلا كان ، خذى هذا القمح فابذرى ، فبذرت ، فقلت : أطلعى فأطلعت ، فقلت : الحقى فلحقت ، ثم قلت : افركى ففركت ، فقلت : أيبس فيبست ، ثم قلت : اطحنى ، فطحنت ، ثم قلت : اخبزى فخبزت ، فلما رأيت أنى لا أريد شيئاً إلا كان ، سقط فى يدى وندمت ، والله يا أم المؤمنين ، ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً ، فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حداثة وفاة رسول الله ﷺ وهم متوافدون فما دروا ما يقولون لها ، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه ، إلا أنه قد قال لها ابن عباس ، أو بعض من كان عنده : لو كان أبواك حيين أو أحدهما ! قال ابن أبى الزناد : وكان هشام يقول : إنهم كانوا أهل ورع وخشية من الله ، وبعداء من التكلف والجرأة على الله ثم يقول هشام : ولوجاءتنا مثلها لوجدت نوكى أهل حمق وتكلف بغير علم .

*****

توبة امرأة بارعة الجمال

أرادت أن تفتن الربيع بن خيثم

عن سعـدان ، قال : أمـر قوم امرأة ذات جـمال بارع أن تتـعرض للربيع بن خـيثم لعلهـا تفتنه ، وجـعلوا لها إن فـعلت ذلك ألف درهم فلبست أحـسن ما قدرت عليه من الـثياب ، وتطيبت بأطيب مـا قدرت عليه ، ثم تعـرضت له حين خرج من مـسجده ، فنظـر إليها ، فـراعه أمرها ، فأقـبلت عليه وهي سافرة ، فقال لهـا الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل ملك الموت فقطع منك حـبل الوتين ؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير ؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشياً عليها ، فوالله هدأ فاقت وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق .

*****

توبة امرأة عن الغناء
والعود وتوبة مولاها على يدها

وجدت فى كتاب عن سرى السقطى أنه قال : ضاقت على نفسى يوماً ، فقلت فى نفسى : أخرج إلى المارستان وأنظر إلى المجانين فيه ، وأعتبر بأحوالهم فخرجت إلى بعض المارستانات ، وإذا بامرأة مغلولة يدها إلى عنقها وعليها ثياب حسان وروائح عطرة ، وهى تنشد :

أعيذك أن تغل يدى ... بغير جريمة سبقت
تغل يدى إلى عنقى ... وما خانت ولا سرقت
وبين جوانحى كبد ... أحس بها قد احترقت
وحقك يا مدى أملى ... يميناً برة صدقت
فلو قطعتها قطعاً ... وحقك عنك لانطقت

فقلت لصاحب المارستان : ما هذه ؟

فقال : مملوكة خبل عقلها فحبست لتصلح ـ فلما سمعت كلامه أنشدت :

معشر الناس ما جننت ولكن ... أنا سكرانة وقلبى صاح
لم غللتم يدى ولم آت ذنباً ... غير هتكى فى حبة وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب ... لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى زعمتم فسادى ... وفسادى الذى زعمتم صلاحى
ما على من أحب مولى الموالى ... وارتضاه لنفسه من جناح

قال سرى : فسمعت كـلاماً أبكانى ، فلما رأت دموعى قالت : يا سرى ، هـذه دموعك على الصـفة ، فكيف لو عـرفتـه حق المعـرفة ، فقلـت : هذا أعجب ! من أين عرفتـى ؟ قالت : ما جهلت منذ عرفت أن أهـل الدرجات يعرف بعضهم بعضاً ، فقلت : يا جارية أراك تذكرين المحـبة ، فلمـن تحبين ؟ قـالت : لمن تعـرف إلينا بآلائه ، وتحـبب إلينا بنعمـائه ، وجاد علينا بجزيل عطائه ؛ فـهو قريب إلى القلوب مـجيب تـسمى بأسمائه الحسنى وأمرنا أن ندعـوه بها ، فهو حكيم كريم ، قريب مجيب قال : فقلت لها : فيم حـبست ؟ فقالت : قومى عابوا على ما سمعت منهم .

فقلت لصـاحب المارستان : أطلقـها ففعل ؟ فـقلت : أذهبى حيث شئت فـقالت : إن حبـيب قلبى قد ملكنى لبـعض مماليكه ، فإن رضى مالكى وإلا صـبرت واحـتسبت فـقلت : هذه والله أعقل منى ! فـجاء مالكها ومعه ناس كثير ، فقال لصاحب المارستان : وأين بدعة ؟ فقال : دخل عليها سرى فأطلقـها فلما رآنى عظمنى ، فقلت : هى والله أولى بالتعظيم منى ! فـما الذى تنكر منها ؟ فقـال : كثرة فكرتهـا ، وسرعة عبرتـها وزفرتها وحنينهـا ؟ فهى باكية راعـبة ، لا تأكل مع من يأكل ، ولا تشـرب مع من يشرب ، وهى بـضاعـتى اشتـريتـها بكل مـالى ـ بعشرين ألف درهم ـ وأملـت أن أربح فيها مثل ثمنهـا ـ فقلت : وما كانت صنعـتها ؟ قال : مطربة قلت : أو فندكم كـان بها هـذا الـداء ؟ فقـال : منذ سنة . قلت : ما كان بدؤه ؟ قال : كان العود فى حجرها وهى تغنى وتقول :

وحقك لا نقضت الدهر عهداً ولا كدرت بعد الصفو وداً
ملأت جوارحى والقلب وجداً فكيف أقرأ سلو وأهدا
فيا من ليس لى مولى سواه تراك تركتنى فى الناس عبداً

قال : فكسرت العود وقامت وبكت فاتهمتها بمحبة إنسان فكشفت عن ذلك فلم أجد له أثراً ، قال : فقلت لها : هكذا كان ؟ فقالت :

خاطبنى الوعظ من جنابى وكان وعظى على لسانى
قربنى منه بعد بعد وخصنى الله واصطفانى
أجبت لما دعيت طوعاً ملبياً للذى دعانى
وخفت مما جنيت قدماً فوقع الحب بالأمان

قال : فقلت له : على الثمن وأزيدك ، قال : فصاح وافقراه من أين لك ثمن هذه ؟ فقلت : لا تعجل على ، تكون فى المارستان حتى آتى بثمنها ، ثم مضيت وعينى تدمع وقلبى يخشع ويت ولم أطعم غمضاً ، ووالله ما عندى درهم من ثمنها ، وبقيت طول ليلتى أتضرع إلى الله تعالى وأقول : يارب إنك تعلم سرى وجهرى وقد اتكلت على فضلك وعولت عليك فلا تفضحنى فبينما أنا عند السحر إذا بقارع يقرع الباب فقلت : من بالباب ؟ فقال : حبيب من الأحباب ، أتى فى سبب من الأسباب ، من الملك الوهاب ، ففتحت الباب فإذا برجل معه خادم وشمعة ، فقال : يا أستاذ أتأذن لى بالدخول ؟ فقلت : ادخل من أنتقال : أنا أحمد بن المثنى . قد أعطانى مالك الدار فأكثر ، كنت الليلة نائماً فهتف بى هاتف فى المنام ، احمل خمس بدرات إلى سرى يعطيها لمولى بدعة يفكها من الأسر ومن زق العبودية الساعة ، فلنا بها عناية

فجئت مبادراً بهذا المال ، فاصنع به ما شئت ، قال : فخررت لله ساجداً وارتقبت الصبح ، فلما تعالى ضوء النهار أخذت بيد أحمد ومضيت به إلى المارستان ، فإذا الموكل به يلتفت يميناً وشمالاً ، فلما رآني قال : مرحباً ادخل فإن لها عند الله عناية ، هتف بي البارحة هاتف ، وهو يقول :

إنها من بال ليس تخلو من نوال
قربت ثم نسمت وعلت في كل حال

فحفظت هذا القول وكررته إلى أن أتيتم ، فدخلت عليها وهي تقول :

قد تصبرت إلى أن عيل في حبك صبري
ضاق من غلي وقيدي وامتهاني فيك صدري
ليس يخفى عنك أمري يا منى قلبي وذخري
أنت لي تعتق رقي وتفك اليوم أسري

قال : وأقبل مولاها يبكي ويخشع ، فقلت له : قد جئناك بما ورثت وربح خمسة آلاف ، فقال : لا والله ! فقلت : بربح عشرة آلاف فقال : لا فقلت : بربح المثل ، فقال : لو أعطيتني الدنيا ما قبلت ! وهي حرة لوجه الله تعالى ، فقلت له : ما القصة ؟ فقال : يا أستاذ وبخت البارحة أشهدك أني خارج من جميع مالي وهارب إلى الله تعالى اللهم كن لي بالسعة كفيلاً وبالرزق جميلاً ، فالتفت إلى أين المثنى فرأيته يبكي ، فقلت له : ما بكاؤك ؟ فقال : ما رضي بي المولى لما ندبني إليه أشهدك أني قد تصدقت بجميع مالي لوجه الله تعالى ، فقلت : ما أعظم بركة بدعة على الجميع فقامت بدعة ، فنزعت ما كان

عليها ولبست مدرعة من الشعر ، وخرجت وهى تقول :

هـربـت مـنـه إلـيـه   بـكـيت مـنـه عـلـيـه
وحـقـه فـهـو مـولى   لا زلـت بـين يـديـه
حـتـى أنال وأحـظـى   بمـا رجـوت لـديه

قال سرى : فأقمت بعد ذلك مدة حتى مات مولاها فبينا أنا أطوف بالكعبة وإذا أنا بصوت محزون من كبد مقروحة ، وهو يقول :

قـد تشـهـرت بحـبك   كـيـف لى منـك بقـربك
كـيف بـى يا نـفس إن وا   خـذك الـلـه بذنـبـك
لم يـقـاسى أحـد يـا   نفـس كـربا مـثل كـربك
فـسـلى ربـك يـأتيـك   الـرضـى مـن عـنـد ربـك

قال : فتبعت الصوت فإذا امرأة كالخيال فلما رأتنى قالت : السلام عليك يا سرى ، فقلت : وعليك السلام من أنت ؟ فقالت : لا إله إلا الله وقع التذاكر بعد المعرفة أنا بدعة ، فقلت : ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق ؟ فقالت : أفادنى كل المنى وأنشدت :

يا من رأى وحـشـتـى فـأنسنى   من قـربه فـانعـشـنى
هربت من مـسكنـى إلى سكنى   نعم ومـن مـوطنى إلـى وطنى
يا سكنى لا حلـوت من سكنى   دهرى ويا عـدتى على الـزمنى
أوحشنى ما فـقـدت منه فقـد   عـاد بإحـسـانه فـآنـسنى
وعـدت أيضـا وعـاد مـنعطفـا   كـذلك مـد كـان منه عـودنى

ثم قالت : لا حاجة لى بالبقاء ، فخذنى إليك .

قال : فحركتها فإذا هى ميتة ــ رحمة الله عليها ــ .

غسل الميتة

أو

غسل المرأة المسلمة

غسل الميتة *

١ ـ نجرد الميتة من ثيابها وتوضع على عورتها سترة وذلك لما أخرجه أبو داود بإسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لما أرادوا غسل النبى ﷺ قالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه » ففى قولها « أنجرد رسول الله ﷺ كما نجرد موتانا دليل على أن تجريد الميت فيما عدا العورة كان موجوداً عندهم .

أما كونهن يسترن عورتها فلأن النبى ﷺ قال : « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة » (١) .

وقد قال بذلك عدد من أهل العلم فقال الشافعى رحمه الله : ويسلب ثياباً إن كانت عليه ويسجى ثوباً يغطى به جميع جسده ويجعل من تحت رجله ورأسه وجنبيه لئلا ينكشف .

٢ ـ أن تحل ضفائرها لقول أم عطية رضى الله عنها : « جعلنا رأس بنت رسول الله ﷺ ثلاثة قرون ، نقضنه ثم غسلنه ثم جعلنه ثلاثة قرون » (٢) .

---

* راجع أحكام النساء ـ للشيخ العدوى ـ الجزء الثانى الإيمان .

(١) الحديث : صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٢) الحديث : صحيح أخرجه البخارى فى صحيحه .

٣ ــ أن يلتزم المغسل الرفق فى أعماله كلها لقول النبى ﷺ : « ما كان الرفق فى شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه » (١) .

٤ ــ أن يوضع السدر مع الماء للغسلات الأول لقوله ﷺ : « اغسلنها بماء وسدر » (وذلك باستثناء من تحج فإنها لا تمس طيباً ، والسدر هنا هو : السدر المطحون) وإن لم يوجد السدر يستعمل ما يقوم مقامه كالصابون ونحوه والأنفع للميت يفعل من ناحية تسخين الماء من عدمه .

٥ ــ تعقد النية للغسل لقول النبى ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » (خ ، م) ويسمى الله عز وجل لقول النبى ﷺ : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » .

٦ ــ يبدأ الغسل بالميامن ومواضع الوضوء لقول النبى ﷺ : « ابدأن بميامنها ومواطن الوضوء منها » (٢) .

٧ ــ ويدخل فى الوضوء المضمضة والإستنشاق فهو مقتضى حديث رسول الله ﷺ : « ابدأن بميامنها ومواطن الوضوء منها » وإن خيف من دخول الماء إلى الجوف أثناء الاستنشاق أميل الميت على جانبه عند المضمضة أو الاستنشاق .

٨ ــ تغسل الرأس غسلاً جيداً بالسدر « المسحوق » حتى تنقى ويصل الماء إلى منابتها ، ويسرحها تسريحاً رفيقاً ، وذلك لأن رسول الله ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم

(١) الحديث : صحيح أخرجه مسلم في صحيحه .

(٢) الحديث : الصحيح أخرجه البخارى ومسلم .

اغتسل ثم يخلل بيده شعره حتى إذ ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه الماء ثلاث مرات ثم غسل سائر جسده .

٩ ــ يغسل الجانب الأيمن لقول النبى ﷺ : « ابدأن بميامنها » ولقول عائشة رضى الله عنها : « كان النبى ﷺ يعجبه التيمن فى تنعله وترجله وطهوره وفى شأنه كله » .

١٠ ــ يصنع بالجانب الأيسر مثل ما صنع بالجانب الأيمن ثم يحرف على جنبه فيغسل القفا والظهر والإليتين وما يتبع ذلك مما لم يتيسر غسله من الأمام .

١١ ــ تمشط الرأس وتضفر ثلاث ضفائر ، كل جانب من جانبى الرأس ضفيرة ، والناصية ضفيرة لقول أم عطية : « ومشطناها ثلاثة قرون » ويلقى شعرها خلفها لقول أم عطية أيضاً : فضفرناها ثلاثة قرون وألقيناها خلفها ، وفى رواية لمسلم : فضفرنا شعرها ثلاثة أثلاث قرينها وناصيتها ، مع ملاحظة أن ذلك يكون إذا كان الميت سيغسل غسلة واحدة ، وفى هذه الحالة أيضاً « حالة الغسلة الواحدة » يضاف الكافور مع السدر لقول النبى ﷺ : « واجعلن فى الآخرة كافوراً » وإذا كانت هناك غسلات أخر فليؤجل وضع الكافور إلى آخر غسلة لحديث رسول الله ﷺ بذلك .

وإذا لم يوجد الكافور إستعمل المسك فهو حسن وقد قال عنه النبى ﷺ : « هو أطيب الطيب » وإذا كان الميت سيغسل أكثر من غسلة فيؤجل تضفيرها إلى آخر غسلة .

١٢ ـ أما بالنسبة لعدد الغسلات فأقلها واحدة لقول النبى ﷺ : « واغسلنها وتراً » والوتر يطلق على الواحد ، أما أكثر عدد للغسلات فهو ما يحدث به الإنقاء لقول رسول الله ﷺ : « أو أكثر إن رأيته ذلك » لكن يقيد بكونه وتراً .

١٣ ـ يصنع ما يصنع فى البند الثانى عشر (مع آخر غسلة) هذا وثم ملاحظات أخرى منها : ـ

أ ـ وضع الميتة أثناء الغسل على مكان حيث لا يتراكم الماء تحتها .

ب ـ مسح البطن بين يدى المغسلة لإخراج ما بداخلها من غائط ونحوه ـ (ولا يصنع ذلك بالحبلى) ـ .

جـ ـ يوضع على البطن شيءحتى يمنع الانتفاخ .

د ـ تستعمل خرقة أو خرقتين فى الغسل .

هـ ـ تجنب مس العورة إلا لضرورة .

و ـ تنشف الميتة بعد الغسل .

ذ ـ الستر على الميتة والتحديث بجميل الخصال التى ظهرت عليها عند موتها .

هذا والحمد لله رب العالمين ،

محمد عبد الملك الزغبى
داعية إسلامى
مؤلف برابطة العالم الإسلامى برقم (٤٩٣ / ب)
عضو العلاقات العامة العربية برقم (١١٦٦)
دراسات عليا بالدراسات الإسلامية

الفهرس